المستشرق أقل دراية بأسرار

ان غمامة من الشك والغموض هي التي تسيطر عليك عندما تسمع كلمة ((مستشرق)) .. رغم ان هناك صلات متينة متصلة بين العلماء العرب والمستشرقين خارج البلاد .. حتى لقد درس بعض هؤلاء العلماء وتتلمذوا على يد المستشرقين الاجانب ..

لقد مر الاستشراق فى اطوار كثيرة منذ عرفته البلاد الغربية منذ أكثر من خمسة قرون تقريبا . ولقد كان فى معظم الاحيان جزءا من الدراسة الجامعية ، فكان حظه من سعة الافق أو ضيقه مرتبطا بتطور الفكر وحريته فى تلك الجامعات . ونحن نعلم كذلك ان الاستشراق ارتبط بأغراض تبشيرية واستعمارية من حيث ان المبشرين ، الذين كان هَمّهم العمل فى البلاد العربية ، جعلوا همهم دراسة اللغة العربية والمباحث الاسلامية تيسيرا لعملهم وغاياتهم ، ومن حيث ان البلاد الغربية التى كانت تتوسع فى البلاد العربية الاسلامية رات ضروريا لها أن تكون على علم بكل ما يتصل بتلك البلاد والشعوب . ونحن نعلم ان كثيرا مما كتبه المستشرقون فى عصور مختلفة من تاريخ نشاطهم العلمى لا تأنس النفس اليه ، ولا يحسن السكوت عليه فى بعض الاحيان . ولكن هذا كله ينبغي الا يلقى فى النفس هوى يجعل القارىء المتدبّر يعرض عن المستشرقين ويظن انه بذلك قد فضّ المسألة وحلّ الاشكال .

وليس من المهم ولا من المجدى الآن ان آتى انا أو يأتى غيري فيتتبع سقطات المستشرقين او مواطن ضعفهم .

ذلك أن المستشرقين يعرفون هذه المآخذ التى يأخذها عليهم أبناء البلاد الشرقية فيصلحون ما يرونه جديرا بأن يُصلَح ، أو يبتسمون لما يرونه خطأ فى فهم عملهم وطريقتهم .

المستشرق اليوم
عالم هدفه المعرفة

ولو نظرنا الى الاستشراق اليوم لوجدناه، كما كان دائما ، جزءا من النشاط العلمى الذي تبذله البلاد الغربية فى جميع ميادين البحث العلمى النظرى والعملى ؛ وأنه يسير على المنهج الذى تسير عليه تلك الابحاث . ان المستشرقين يعتبرون انفسهم طلاب معرفة ، بقدر ما يعتبر عالم الكيمياء أو الرياضيات نفسه طالب

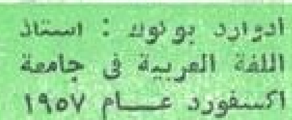
بقلم محمود الغول

اللغة العربية :

• المستشرق منهجه منهج سائر العلماء
• المستشرق عالم هدفه المعرفة ..







ادوارد بوكوك : استاذ اللغة العربية فى جامعة اكسفورد عــام ١٩٥٧

وارين مونزنجـــر : مستشرق بحاثة ، وعالم متخصص فى الجغرافيا

معرفة . وهم يرون ان مهمتهم الاولى البحث والتنقيب توصلا الى المعرفة، وانها – اي مهمتهم – ليست اتقان اللغــات الشرقية التى يشتغلون بهااتقان الترجمان الضليع ، أو اتقان ابنائها الذين يحتاجونها فى حياتهم ومعاملاتهم . وهم يرون انهم ليسوا علماء أعلاما على مفهوم هذهالكلمة فى نفوس كثير من أهل البلاد الشرقية ، أي ان أحدا منهم وعى العلم كله أو جلّه فى صدره ، وانه يستطيع ان يفتــى فى الحقير والجليل . انهم يرون ان ذلك هو عكس مفهومهم لمهمة العلماء ، اذ أنهم يرون أن آفاق العلم متجددة، وان مهمتهم أن يروها تتجد بتكرار البحث والتنقيب. انهم لا يرون ان العلم فى الصدور ولكنه فى السطور .

للمستشرقين منهج
هو منهج سائر العلماء

ليس هذا دفاعا عن المستشرقين ولا تأييدا لهم . بل كل ما فى الامر ان علينا ان نعلم انهم يسيرون فى أبحاثهم علــى منهج يسير عليه العلماء جميعا . وهــو منهج أدى ، فى ميادين العلم الاخرى ، الى نتائج عجيبة هى اليوم حديث العالم كله ، وأعنى بذلــك التقــدم الصــناعى



دكتور مارجليوث : احد كبار المستشرقين

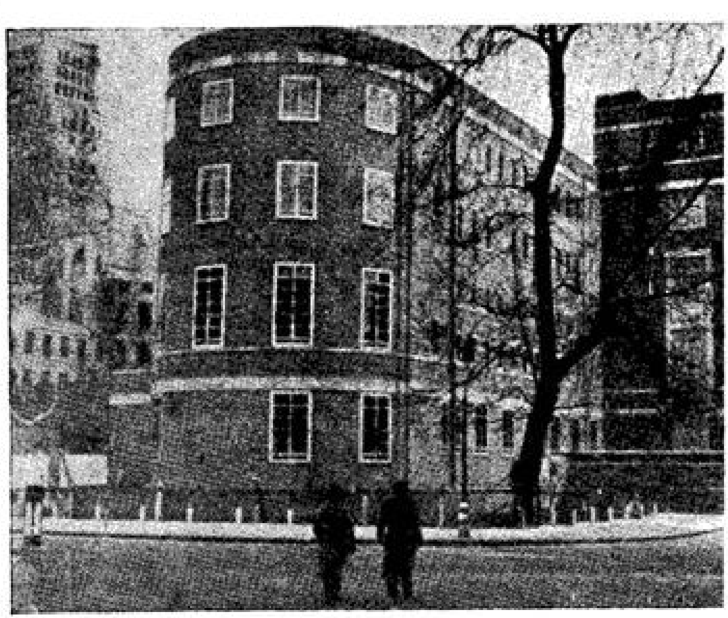
التطبيقي العجيب الذي قد لا يكون غزو الفضاء أعجب مجالات تقدمه . وكما أن النتائج المادية الملموسة التي وصل اليها العلم الحديث أصبحت أمورا مسلما بصحتها فى نفوسنا تسليما يكاد يكون صوفيا ، حتى أصبحنا نعيب من يعيبها، فان أقل ما ينبغي أن نفعله حين النظر فى أعمال المستشرقين وأبحاثهم الا نحكم عليها الا بعد تمحيصها .

ثلاث حضارات قديمة

ان نظرة فى أعمال مؤتمر المستشرقين الأخير تساعدنا على فهم كثير من وجوه نشاطهم وبحثهم . فقد كان من بين أقسام المؤتمر أقسام ثلاثة تتعلق بالحضارة القديمة فى بلاد الشرق الأوسط ، أى الحضاوة المصرية ، والحضارة الاكدية البابلية وما اليها من حضارات ما بين النهرين ، والحضارات السامية الاخرى بصورة عامة .

المستشرقون يعتمدون على الحفائر

هذه الحضارات تكاد معرفتنا بها تكون مقصورة على نتائج الحفريات التى قام المستشرقون بالقدر



مدرسة الدراسات الشرقية فى جامعة لندن ، ويبدو المبنى الرئيسى للجامعة الى أقصى اليســار ..

الاكبر منها حتى اليوم . ان الفكرة الاساسية التى يستند عليها علماء الحفريات هى أن دفائن الارض من مخلفات العصور والحضارات الماضية تعطينا معلومات هى ، فى أغلب الاحيان ، أشد وثاقة وأعظم صدقا من الأخبار التى وصلتنا مدونة فى الكتب أو على أفواه الناس . ولا يصح لذلك أن نتصدى الى الكلام عن تاريخ العصور والحضارات السابقة ما دامت هناك حقائق أساسية كثيرة يمكن استنتاجها من دفائن الأرض . ولذلك لابد من الحفر عن هذه الدفائن ما أمكن الامر وتيسرت الوسيلة توصلا الى بناء أحكامنا على معلومات وافية موثوق بها قدر الامكان .

ولعل من مقاييس تقدم الابحاث العلمية فى البلاد العربية فى هذا الباب ، وفى التقدم العلمى عامة ، ان مصر ولبنان كانتا البلدين العربيين الوحيدين اللذين أسهم علماء منهما فى أبحاث تتعلق بحضارات بلادهم القديمة .

المخطوطات العربية

وننتقل من البحث عن دفائن الارض الى نشر دفائن خزائن الكتب . ان وجهة نظر العلم فى نشر دفائن المكاتب من مخطوطات لا تختلف عن وجهة نظره فى ضرورة استكمال مواد البحث ومصادره على وجه سليم قدر الامكان قبل البدء فى بناء نتائج واستصدار أحكام . وقد لوحظ فى هذا الباب أن معظم الابحاث التي القيت فى المؤتمر القاها علماء العرب ، وهى متعلقة بتحقيق **المخطوطات العربية** وتعريف الناس بدفائنها . فقد القى الاستاذ أمجد الطرابلسى من الجامعة السورية بحثا عن مخطوطة كتاب « **زجر النابح** » لأبي العلاء المعرى .

والقى الأب جورج قنواتى بحثا عن كتاب القاضى عبد الجبار المعتزلى « **المغنى فى أصول الدين** » .

والقى الاستاذ ابراهيم الكتانى من الرباط بالمغرب الاقصى بحثا عن كتابى « **المورد الأحلى فى اختصار المحلى** » « **والمقدح المعلى فى اكمال المحلى** » مبينا علاقتهما بكتاب « **المحلى** » لابن حزم الظاهرى وقيمتهما بالنسبة لتحقيق نص كتاب ابن حزم .

ويضاف الى هذا كله طبعا جهود معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية . وقد ألقى الاستاذ صلاح الدين المنجد ، مدير المعهد المذكور بحثا عن جهود هذا المعهد . وقد كان تقدير



جانب من اجتماع مؤتمر المستشرقين بمدينة ميونيخ بالمانيا ، عام ١٩٥٧ ، وترى فيه الى جانب الوجوه الغربية ، وجوها من شتى البلاد العربية ومن بينها الكويت

أعضاء المؤتمر المشتغلين بالابحاث الاسلامية لهذه الجهود العربية فى نشر التراث العربى الاسلامى نشرا علميا أمينا وتيسير أسباب البحث فيه للعلماء بالغا بحيث اتخذوا قرارا بشكر المجامع والهيئات العلمية العربية على جهودها فى هذا الباب .

علماء العرب يغفلون دراسة اللهجات

ان نشر الكتب من المخطوطات قد اصبح اليوم عملا علميا معترفا به من حيث انه ضرورة علمية ، ومن حيث انه يمكن أن يكون ميدانا لابراز الامانة العلمية . ولم يعد فى نظر من يحسنون التقدير « صناعة وراقين » كما سمعت من وقت قريب على لسان من كان يرجى من علمه وفهمه ان يرتفع افقه الى افق العلم الحديث .

على أن هناك ناحية من نواحى البحث العلمى المتعلقة بالبلاد العربية لم يساهم فيها الباحثون العرب الى جانب المستشرقين ، وأعنى بذلك دراسة اللهجات واللغات غير العربية فى البلاد العربية ، فبينما كنا نجد بين كتب المستشرقين المعروضة كتابا فى **نحو اللغة المهرية** ، وكتابا فى **لغة الفجر فى البلاد العربية** ، ونجد باحثين يلقون أبحاثا عن نواح من اللغات المهرية والشحرية والسقطرية وغيرها من اللغات التى ما زالت مستعملة فى جنوب الجزيرة العربية وعلى أطرافها ، وجدنا صمتا تاما عنها من ناحية أبحاث الباحثين العرب ودراساتهم. ان هذه اللغات تراث الجزيرة العربية من ناحية ، وهى ضرورية للباحث العربى ليفهم كثيرا من تاريخ الجزيرة الحديث والقديم . وأولى البر أن يبدأ الانسان بأهل بيته .

جهود المستشرقين لا تقتصر على البلاد العربية والاسلامية

وينبغي ألا يغيب عن البال أن الاستشراق وجهود المستشرقين العلمية ليست مقصورة على البلاد العربية والدراسات الاسلامية العربية بل انها تمتد حتى تشمل جميع حضارات آسيا وافريقيا القديمة والحديثة . واذا علمنا ان علاقات العالم العربى الاسلامى ببقية بلدان آسيا وأفريقيا متينة متصلة تاريخيا وجغرافيا

في القديم والحديث أدركنا ان ثمة ميدانا واسعا على العلماء في البلاد العربية أن يجولوا فيه ، لا متعلمين فحسب،بل علماء باحثين منقبين عن نواح هي قسم من تراثهم وقسم من تاريخ مصالحهم الحيوية .

تلاميذ المستشرقين من العرب يتزايدون

ان من الممكن القول ان العلم في البلاد العربية قد أفاد من جهود المستشرقين في الماضي والحاضر وان صلة العالم العربي بالمستشرقين وجهودهم تزداد يوما بعد يوم يشهد بذلك الاعداد المتزايدة من طلاب الابحاث والدراسات العليا الذين يَردون معاهد الدراسة والبحث في أوربا . وهنا لا بد من وقفة . لا بد من وقفة نجيل معها النظر فيما يعود على العلم في البلاد العربية من جهود أبنائها الذين يدرسون على المستشرقين في البلاد الاجنبية .

ناموا على امجادهم

ان كثيرا من المستشرقين في بلادهم يتساءلون عما حدث لبعض طلابهم الذين اتموا تحضير رسائل دكتوراه ، كانت ابحاثا من الطراز الاول في بابها ، ثم عادوا الى أوطانهم ، ان أخبارهم انقطعت عنهم ، وانقطع نشاطهم العلمي انقطاعا تاما .

هم يعلمون ان معظمهم يشتغلون بالتدريس العالي الجامعي في بلادهم ، ولكنهم يشعرون ان ذلك لا يكفي عذرا لهم عن خفوت الصوت ، والقعود عن البحث ، فهم يؤمنون ان لا خدمة للعلم تعدل البحث والتنقيب . والمستشرقون في بلادهم يألمون لذلك . انهم يقولون بصراحة ان العلماء العرب في البلاد العربية يملكون ـ من حيث أن اللغة العربية لغتهم ـ قدرة على سعة الاطلاع على المصادر والخوض فيها لا يملكها المستشرقون عادة ؛ وانهم اذا جمعوا الى ذلك التدريب السليم على البحث فان رجاء العلم فيهم لا يمكن أن يكون مبالغا فيه مهما كبر . ويَصْدِم المستشرقون حين يقال لهم ان معظم هَمِّ هؤلاء الطلاب هو الحصول على شهادة عالية يُرضون بها القيود المالية والادارية في اثبات حقهم في الترقية . اي أن معظم هَمِّ هؤلاء الطلاب هو الحصول على وثيقة يساومون بها في وظائف الدولة والمجتمع . فاذا تحقق لهم ذلك عاجلا أو آجلا ناموا على المجد الذى كان .

ان رسالة الاستشراق ، ورسالة مؤتمر المستشرقين الينا ، هي رسالة العلم والبحث والامانة ، والصبر على مكاره البحث ومشاقه ، جسمية كانت أو نفسية . ورسالتهم أن الانسان ينبغي أن لا يتقدّم على طلب الحقيقة أي اعتبار آخر . أنا لا أقول ان جميع أعمال المستشرقين وآثارهم تشهد بهذا وتحققه، ولكن هذا هو النهج العلمي الذي يحاولون ان يسيروا عليه ، ويتقيدوا به ، ونحن العرب يجب ألا نتخلف عنهم منهجا ، وأن ننافسهم ، ان كان في العلم موضع منافسة ، في التزود منه وجني ثمراته .

محمود الغول
المحاضر بمعهد اللغات الشرقية
بجامعة لندن